ثقافة

إضاءة

الأشرطة المصوّرة علامات فلسطينية تملأ الوعي والمكان

نضال بالرسوم والظلال

اعتمد الباحث الفلسطيني عمّار قنديل في قراءته لنماذج من فنّ الأشرطة المصوَّرة، على مدوَّنة واسعة تتضمَّن رسومات أبدعها فنّانون من أبناء وطنه وآخرون أجانب، اجتهدوا فيها بتقديم تواريخ القضيّة وإضاءة جوانبها، الأمر الذي يمنحُها جمهوراً عالميّاً

نجم الدين خلف الله

رغم الحَظْر المفروض على النِّتاج الفنّي الفلسطيني ومُحاولات التعتيم عليه، فإنّ أصوات المُبدِعين لم تخفُت ولم تَنِ عن التعريف بالقضيَّة، لتذكير العالَم المأخوذ في فِخاخ السرديَّة الغربية بوجود أرض وشعبٍ محتلَّيْن، تحيا فيهما ثقافةٌ عريقة يسعى الاحتلال إلى مَحْوها من الذّاكرة. ومن بين التعابير الفنّية، تطوَّرت في الآونة الأخيرة الأشرطة المُصوَّرة مُستغِلّةً التقنيات التصويريّة السمعيّة - البصريّة، وما تُتيحه أدواتُ الرَّسم الرَّقميّة، وباتت تُخاطب جمهوراً أَلِف هذا الشّكل الفنّي فأقبل عليه أكثر من إقباله على التعابير الرسميّة: المُحاولة التأمّليّة والتحليل الجيو-السياسي، والأدب النضالي بمعناه التقليدي.

فهل تنجح هذه الوسائط المُستحدَثة في إيقاظ الرأي العامّ وتوعية فئةٍ الشباب واليافعين؟ وهُم الذين لم تَعُد تُقنعهم الخطابات الخشبيّة «المتعالِية»، فأقبلوا حدّ الإدمان على هذه التعابير المُصوَّرة لخفّتها على النَّفْس وسرعة مُطالعتها.

تكاثرت هذه الأشرطة منذ سنة 2015، حتى صارت تُشكّل ظاهرةً تستحقُّ الدَّرْس، إذ أنتج مُبدعون فلسطينيّون العديد منها ولا سيّما بالألسُن الأجنبيّة، مع التركيز على الهمّ الفلسطيني الآني، والعودة إلى الأحداث المأساوية التي شهدها بلدُهم منذ «وعد بلفور» (1917). ولا شكّ في أنّ لجوء هؤلاء الفنّانين إلى صياغة الأشرطة بالإنكليزية أو الفرنسية، لا يُمكن إلّا أن يخدم القضيّة ويُتيح لها جمهوراً أرحب، كما يُضفي عليها بُعداً عالميّاً ولا سيّما في فترات نُضوب الاهتمام بهذه القضيّة في المَشاهد الثقافية غير العربيّة، التي يقتصر فيها جمهورها الغربي على السرديّة الإسرائيليّة المُضلِّلة.

وقد تخصّص الباحث الفلسطيني المُقيم في باريس عمّار قنديل في التحليل الدلائلي (السيميولوجي) والسوسيولوجي لهذه القضايا، في إطار دراساته الأدبيّة في المجال الفلسطيني المعاصر، حيث أنجز أبحاثاً عديدة ركَّزها على ثيمة «النّكبة»، كما وردت في الأشرطة المُصوَّرة سعياً منهُ لإعادة قراءة هذا الحدَث الفارق في ذاكرة الشعب الفلسطينيّ، ولاستكشاف الأساليب الفنّية التي يستعيد عَبْرها الفنّانون تاريخهم وأحداثه القاسية، كما ارتسمت في ضمائرهم وكما يودُّون إبلاغَها للعالَم. ولذلك اشتغل قنديل على هذا الموضوع من خلال سلسلة محاضرات عِلميّة ألقاها في الجامعات الفرنسيّة، فضلاً عن مجموعة من المقالات صدر بعضها، وبعضُها الآخر قَيْد الإنجاز إلى جانب نَشْر «بودكاست» عنوانه: «الشريط المُصوَّر: بناءُ معرفة تاريخيّة».

وتتضمَّن هذه الأشرطة عدداً لا يُستهان به من الرُّموز والصُّور المُحيلة على التراث الفلسطيني، ممّا يخلق في «إمبراطوريّة العلامات»، بتعبير رولان بارت، ما يُشبه العلامة الحاضرة التي تملأ الوعي والمكان، علامات، مثل جدار الفصل العُنصري، والكوفيّة، والمقلاع، وصفوف المُهجَّرين الذين أُخرجوا ولا يزالون من ديارهم. وتكمُن قيمة هذه الدلائل، بظلالها وفويرقاتها اللونيّة، في ترسيخ صُورة فلسطين لدى القارئ.

من أغلفة كتب الفنّان المالطي الأميركي جو ساكو

ومن آخر إسهامات قنديل في هذا الصدد مُشاركته في مؤتمر عالمي، انعقد في «جامعة لوران»، شرق فرنسا، حول «الابتكار الفنّي العربي وإعادة اكتشاف مفهوم الالتزام»، حيث ركّز مُداخلته على الشريط المُصوَّر الفلسطيني، بوصفه شكلاً من أشكال الالتزام يهدف إلى توعية الجمهور عبر التقنيات البصريّة والتصويريّة. وقد اعتمد قنديل على مدوَّنة واسعة تتضمّن أشرطة عديدة أنتجها مُبدعون فلسطينيون سواء بالإنكليزية أو بالعربيّة، نذكر من بينها «بدّاوي» لليلى عبد الرزاق، و«القوة الناشئة من الأحلام» و«أبيض وأسود» لمحمد سباعنة، فضلاً عن أعمال كرم الخليل، ودنيا عمري، وعامر الشوملي، وخالد لدادوة، وهِبة حمدان، وغيرهم، ممّا يعني وجود جيل كامل من الفنّانين الفلسطينيّين الذين يعملون في هذا الحقل، بعدما أدركوا أهميّته في التعريف التصويري بالقضيّة الفلسطينية. كما استدعى أعمال مجموعة ثانية من الفنّانين العرب المُقيمين في الغرب ومن الغربيّين، وكلّهم اجتهدوا في تقديم القضيّة الفلسطينية من خلال الرُّسوم، ومن بينهم: دينا محمد، وكرمل خليل، ثم جو ساكو صاحب «فلسطين»، و«غزّة 1956»، وفيليب سكارزوني، مُنتج «التعذيب الأبيض»، وسيلين دي جيمس وفرانسوا بجيني كاتبَي: «موح: فلسطيني تقريباً»، وكلّها توظّف آليات التصوير وشطحات القلم والتصرُّف في الظلال من أجل الإضاءة على معاناة هذا الشعب التي لم تتوقّف.

وسيلة نضال سِلمية تغيّبها آلة الدعاية الغربية

تصرُّف في الظِّلال من أجل الإضاءة على نضال شعب

وتجدُر الإشارة إلى أنّ هذه الأعمال صِيغت قبل أحداث السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، أي إنها فنّية بحتة، لا أثر للعنف فيها، وأصحابها يعيشون في الغرب وفي فلسطين ويؤيّدون مسارات السلام عن قناعة، فلا مجال لأن تُلصَق بهم تُهَم العنف. فَهُم دُعاة حوار يحملون مضموناً مُلتزماً، وليس مجرّد فنٍّ للتسلية ولا للتحريض والسخرية البذيئة، كما يسود في التصوُّر العامّ. ولذلك ركّز هذا الباحث على بواكير الأشرطة المُصوَّرة الفلسطينية، المُوجَّهة إلى جمهور غربيّ أي: عالمي، من أجل تحسيسه بالقضيّة الفلسطينيّة. ولن نفهم هذه القيمة ولا جُرأة هذه التحليلات إلّا إذا وضعناها في سياق المشهد الثقافي الغربيّ الذي تهيمن عليه السردية الأُخرى، وتُقمَع فيه عمداً وقصداً كلُّ الأصوات المُناوئة حتى لا تُشوِّش على رؤية الغربيّين ولا تُزعج عطالتهم. فكلّ ثغرة تُفتَح لدى جمهور هذه الأشرطة، وجلّهم من الشباب، هي نصٌّ جريء وإسهامٌ لا يجب الاستهانة به، حتى يتفتّت جدارُ الصمت والتعتيم، عبر هذه الفقاعات الساخرة التي ارتبطَت بالفكاهة المُوجَّهة للأطفال، فإذا بها خطابُ جدٍّ مُوجَّه إلى الوعي السادر. كما تُضيف هذه الأعمال إلى المشهد الثقافي المُحتلّ صوتاً آخر وصورةً ثانية، هُما صوت الحقيقة وصورتُها اللذان لطالما خُنقا اعتسافاً. فأن يُؤدَّى هذا الصّدى، ولو عَبْر آليّات التصوير والحوار الكرتوني، أفضلُ من لا شيء، وفقاً للمثل التراثي: «ما لا يُدرك كلّه لا يترك جُلّه»، ولا سيّما أنّ في هذه الأشرطة بُعداً توثيقيّاً تاريخيّاً يُذكّر بأطوار من تاريخ فلسطين، وما شهدته من نكبات وفظائع منذ قيام كيان الاحتلال، فهي تبني معرفة تاريخيّة مخالفة لما يسود في المحكيّة الإسرائيلية المُضلّلة.

(كاتب وأكاديمي تونسي مُقيم في باريس)

النص الكامل
على الموقع الإلكتروني

معرفة تاريخية مُخالفة

تُضيف الأشرطة المُصوَّرة التي تتناول القضية الفلسطينية إلى المشهد الثقافي المُحتلّ صوتاً آخر وصورةً ثانية، هُما صوت الحقيقية وصورتُها، كما أنّ فيها بُعداً توثيقيّاً يُذكّر بأطوار من تاريخ فلسطين، وما شهدته من نكبات وفظائع منذ اختلاق كيان الاحتلال، فهي تبني معرفة تاريخيّة مخُالفة للسائد في السردية الإسرائيلية. وضمن هذا الفَهم، جاءت قراءة الباحث الفلسطيني عمّار قنديل (الصورة) لنماذج من هذه الأشرطة.

مجلّة

تقرير عن فلسطين تسمية الأشياء بمُسمّياتها

لا تقُل «حربٌ ضدّ حماس» قُل مجزرة

تقترح المجلّة الإسبانية مجموعة من المصطلحات الدقيقة حول العدوان الإسرائيلي على غزّة، لا سيّما في ظلّ التزييف الذي يمارسه الإعلام الغربي

مدريد ـ **العربي الجديد**

متظاهرون في روما يرفعون لافتة كتب عليها «التطهير العرقي ليس دفاعاً عن النفس»، 13 كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

كشف العدوان الإسرائيلي على غزّة أنّه قائمٌ ليس على أرض المعركة فحسب، بل على جبهات عديدة مفتوحة، وربّما لا تقل خطورة عن تلك المُلتهبة على الأرض الفلسطينية. إنّها عدوانُ اللّغة والكلمة، لا سيّما في ظلّ استيلاء وسائل الإعلام الصهيونية في الغرب على الخطاب الإعلامي والثقافي، مؤسّسة بذلك للُغة تقوم على التزييف، بوصفه مبدأً، وعلى نظرية التسويغ باعتباره منهجاً.

وسائل التواصل الاجتماعي هي الراعية، بالإضافة إلى المنابر الصحافية والإعلامية التي تشحن اللُّغة بعبارات تحوّل الحقيقة إلى كذب، والكذب إلى حقيقة. ضمن هذا الإطار، لا بدَّ من آلية ضبط للُغة الصّحافة، لأنّ الكلمة تؤثّر. فمن كان بالأمس مُحتلّاً، صار اليوم «مدافعاً عن النَّفْس»، ومن هو مقاوم للاحتلال والاستعمار، صار بعد العدوان على غزّة، «إرهابيّاً خطيراً».

هذه الأمور وغيرها، يتناولها العدد الثالث والسبعون من مجلّة «الإسالتو» الإسبانية، التي يصدرها الموقع والجريدة الإلكترونية التي تحمل الاسم نفسه، ولعبت دوراً هامّاً في ظلّ العدوان الأخير على غزّة، حيث كانت من أبرز المنابر الإلكترونية التي فسحت المجال أمام المُدافعين عن القضيّة الفلسطينية من الكُتّاب والصحافيين الإسبان لتوضيح حقيقة ما يجري من حرب إبادة جماعيّة.

العدد الذي حمل عنوان «تقرير عن فلسطين» وأعدّه عدد من الصحافيين والعاملين في الجريدة الإلكترونية يأتي ليكون مرجعية إعلاميّة للصحافيّين الذي يريدون أن يغطّوا العدوان على غزّة في إسبانيا، لا سيّما في ظلّ التحريف والتزييف الواضح الذي يمارسه الصحافيّون في تغطية العدوان بالجرائد الإسبانية، خصوصاً تلك المنابر ذات التوجُّه اليميني.

هل من المعقول أن يُطلق على من يدافع عن أرضه اسم «الإرهابي»؟

في المقدّمة المُطوَّلة يتوضَّح الهدف من هذا «التقرير»: «فلأن الكلمات مهمّة، ولأنّ المصطلحات المُختارة يُمكن أن تقول أكثر من المعلومة المُقدَّمة، ولأنّ الكلمات تُشكّل إطاراً وسِياقاً يمنحُ الشرعية أو يُزيلها، قرَّرنا أن نُقدّم في هذا العدد مُقترحاتٍ لبعض المُصطلحات والكلمات والعبارات التي يجبُ استخدامها من أجل تغطية القضيّة الفلسطينية. فهل من المعقول أن يُطلق على من يدافع عن أرضه من المُحتَلّ اسم ‹الإرهابيّ›؟».

قد يكون من أبرز المصطلحات التي يتوقّف عندها المساهمون في العدد مصطلح «الحرب ضدّ حماس»، حيث يقترحون بدلاً من استخدام هذا التعبير الشائع في وسائل الإعلام الإسبانية والعالمية؛ والذي يصفونه بأنه غير دقيق ويعبّر عن انحياز الصحافي أو الكاتب لطرف على حساب آخر، مصطلح «المذبحة» أو «المجزرة»، في إشارة إلى ما ترتكبه «إسرائيل» في غزّة الآن. كذلك يرفض الصحافيّون وصف من يُدافع عن أرضه ضدّ الاحتلال بـ«الإرهابي»، لذلك يوصي العدد باستخدام اسم «حماس» بدلاً من «المجموعة أو الحركة الإرهابيّة».

«الإخلاء» هو تعبير آخر يتوقّف عنده كُتّاب العدد، ويصلون إلى نتيجة أن ما تفعله «إسرائيل»، ليس عملية «إخلاء» بل تهجير قسري تمارسه على السكان في فلسطين.

النص الكامل
على الموقع الإلكتروني

إطلالة

الاضطهاد أم مواجَهته؟

شروط الكتابة

الشرط الأساسي هو الحرّية الشخصية العميقة التي تُنتِج، لا لأنّها مضطهَدة، فالمضطهد قليلاً ما يتمكّن من الإبداع، بل لأنّها تكافح الاضطهاد

ممدوح عزام

متى يمكن أن يُبدع الكاتب نصوصاً جميلة؟ في ظلّ سلطة الاضطهاد، أم في ظلال سلطة الحرية؟ يبدو السؤال زائداً عن الحاجة هنا، فالجواب الحاضر، البديهي، المتوافق مع الحقيقة هو أنّ مناخ الحرية، لا أجواء القمع، هو الذي يمنح الإبداع شروط الكتابة.

وفي هذه المسألة قد يصطدم القارئ بما يقوله الروائي والناقد السوري الراحل حليم بركات، في فصل عنوانه «الكاتب العربي والسلطة» من كتابه «غُربة الكاتب العربي» من أنّ «الاضطهاد العنيف والمباشر... لا يقضي على الأدب، على العكس، يبدو أنّه عامل مهمّ في نموّه»، بمعنى أنّ المواجهة بين الكاتب والسلطة المضطهدة تُفضي إلى إنتاج أدب جيّد، بل عظيم، كما حدث في روسيا القيصرية، أو في فرنسا قبل الثورة، ولسوف يقدّم الروائي السوري تفاصيل أُخرى من حالة بلد مثل العراق، حيث لاقى كلٌّ من بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وبلند الحيدري اضطهاداً من السلطات الحاكمة هناك، عزّز من قوّة الأدب الذي أنتجوه.

لا يتطرّق الكاتب إلى الآليّة التي تمنح الكتابة ذلك العامل الذي يُسهم في نموّ الأدب، ولا يمدح الاضطهاد بالطبع، ولكنّه يثير قضية العلاقة بين الكاتب والكتابة، أكثر من إثارة قضية العلاقة بين الكاتب والسلطة.

وإذا كان موضوعنا كاتباً محدّداً بعينه، فقد نصل إلى نتيجة مشابهة لنتيجة حليم بركات، ولكن الأدب نفسه، أو الحياة الأدبية عامّة، تتعرّض لأسوأ النتائج، ويمكن أن يدمّرها تماماً أيُّ اضطهاد، وسبق أن ردعت السلطة السوفييتية الناشئة حديثاً في موسكو بعد ثورة أكتوبر، الكتّاب والشعراء والنقّاد الذين فكروا بالتجديد، والكتابة المختلفة، وهناك احتمال راجح أن يكون ذلك الإجراء التعسّفي قد أدّى إلى تدمير أصحاب ذلك الاتجاه الأدبي والفني.

واللافت هنا أنّ سلطة الاضطهاد تُصادر الموضوعات، بينما صادرت سلطة الثورة الموضوع والشكل. والأمر متعلّق هنا بحرّية الكاتب، فالاضطهاد لا يُفسح المجال لحرّية الكتابة، ودوُره محبط، أو معوق، أو مانع بالمطلق لها. وخاصّة تلك الآداب التي تحتاج لمناخ الحرية المادّي كي تستطيع أن تُنتج، مثل المسرح والسينما والفنون التشكيلية. والإبداعات الأدبية والفنّية الكبرى في تاريخ البشرية لم تُكتب في النزاع مع السلطة، بل في وضع البحث عن جوهر الإنسان.

هل كان السيّاب سيكتب شعراً مختلفاً لو لم يكن ملاحَقاً؟

هل كان تشيخوف سيعجز عن كتابة قصصه لو كانت الحياة السياسية أكثر حرّية وانفتاحاً في بلاده، أم كان سيقدّم لنا قصصاً أفضل ممّا قدّم أو أسوأ؟ من يسيطر على النتيجة: ذات الكاتب، أو الأجواء المحيطة؟ هل كان السيّاب سيكتب شعراً مختلفاً لو لم يكن ملاحَقاً؟ والمسألة ليست في الموضوع في نهاية أمر المناقشة حول الأدب، بل في القيمة الجمالية التي تُنتج الأدب.

إحدى المشاكل في هذا الرأي أنّه يتجاهل ذات الكاتب، أي تلك الشخصية الخاصّة التي تُنتج أدباً جيّداً. والشرط الأساسي هو الحرية الشخصية العميقة التي تُنتِج، لا لأنّها مضطهدة، فالمضطهد قلّما يتمكّن من الكتابة والإبداع، بل لأنّها تكافح الاضطهاد، وبهذا المعنى يمكن قراءة «أنشودة المطر» لشاعر اسمه بدر شاكر السيّاب، الذي لو لم يكن موجوداً، لما وُجدت هذه القصيدة، في ظلّ أي اضطهاد.

(روائي من سورية)

من رفح جنوبي غزّة، 25 كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

فعاليات 26

تحتضن «مكتبة قطر الوطنية» في الحادي والثلاثين من الشهر الجاري، ابتداءً من التاسعة والنصف صباحاً، أشغال **الملتقى الأوّل لتعليم وتعلُّم التاريخ القطري**. يناقش الأكاديميّون المشاركون في الملتقى الدور الذي يلعبه تدريس التاريخ القطري ضمن سياق علمي وتربوي في تعزيز صلة الدارسين بجذورهم.

كيف نصمد في مواجهة حالة القمع المسيطرة على المشهد الثقافي العالمي؟ عنوان لقاء تستضيفه «دار الفنون» في عمّان مع القيّم الفنّي والكاتب التركي **فاسيف كورتون** (الصورة)، عند السادسة والنصف من مساء غدٍ السبت. يُضيء اللقاء تزايد وتيرة استخدام أدوات القمع السياسي والتحرّش والانتقام الاقتصادي في البلدان الغربية بغرض إسكات حرية التعبير والإبداع.

تحت عنوان **الفنّ مقاوَمة**، يَعرض فضاء «بُساط» في القاهرة، عند الثامنة من مساء بعد غدٍ الأحد فيلم **حكايات الغريب** (1992) للمُخرجة **إنعام محمد علي**. تدور أحداث العمل، المقتبس عن قصّة لجمال الغيطاني، بين نكسة 1967 وحرب أكتوبر 1973. يتبع العرض جلسة نقاشية مع الناقدة السينمائية **أروى تاج الدين**.

بين الأوّل من شباط/ فبراير والثاني من آذار/ مارس المُقبلين، تحتضن «قاعة يحيى للفنون» بتونس العاصمة معرضاً للتشكيلي التونسي **خالد زغدود** بعنوان **طيولوجيا**. يضمّ المعرض أربعين لوحةً تُقدّم تأويلاً معاصراً لـ«منطق الطير»، ضمن ما يسمّيه الفنّان «دور الفنّان في مجابهة خطابات الكراهية».